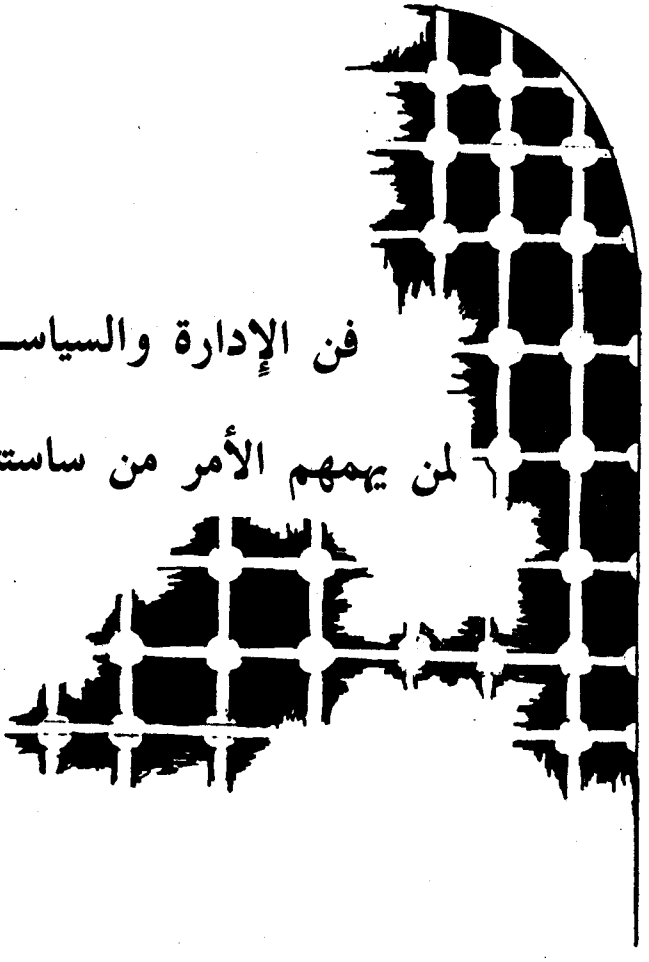

فن الإدارة والسياســـة

لمن يهمهم الأمر من ساستنا وقادتنا

الراعى والرعية

قال الراوى : كلنا راعٍ ومسئول عن رعيته يسوسها ويقودها إلى خير العمل ، وعمل الخير وتتجلى سياسة عمر – رضى الله عنه – فى أول منطق له .. لقد كان أول منطق نطق به ابن الخطاب حين أستُخلف :

« إنما مثل العرب مثل جملٍ أَنِف اتّباعَ قائدِه ، فلْينظر قائدُه حيث يقود !

وأما أنا فورَبِّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق » .

ولما فرغ عمر من دفن أبى بكر – رضى الله عنه – نفض يده عن* تراب قبره ، ثم قام خطيبا مكانه فقال :

« إن الله ابتلاكم بى ، وابتلانى بكم ، وأبقانى فيكم بعد صاحبى ، فوالله لا يحضرنى شىء من أمركم فيليه أحد دونى ، ولا يتَغَيّب عنى فآلوَ[1] فيه عن الجزاء والأمانة .

ولئن أحسنوا لأُحْسِنَنَّ إليهم ، ولئن أساءوا لأُنَكّلَنّ بهم .

قالوا : فوالله مازاد على ذلك حتى فارق الدنيا .

وقال : اللهم إنى شديد فَلَيِّنّى ، وإنى ضعيف فقوّنى ، وإنى بخيل فسَخِّنى .

خطبته حين بويع :

ويضع عمر – رضى الله عنه – النقط على الحروف موضحا سياسته ذاكرا ما عَلِمَه من خبر القوم فيقول مصارحا رعيته فى خطبة له حين بويع :

إنى قد علمت أنّ قد كرهتُم قيامى عليكم[2] ، ومن كرهه منكم ممّن ساءه أخْذٌ بحق ، ودفْعٌ عن باطل ، وضربُ عنق من خالف الحق ، ونَحنِّى الباطل ، ودعا إليه ، فليس لأولئك عندى هوادة[3] ولا مصانعة ، فليَمُت أولئك بغيظهم ، ولا يلومُنّ إلا أنفُسَهم ، ولا يُبقين إلا عليها .

والله ما لِمَن خالف إلى الباطل من عقوبة دون ضرب عنقه ؛ فإن السيفَ نعم

---

(١) ألا يألو ألْوًا ، وألُوًّا ، وألِيًّا : اجتهد ، وقَصّر ، وضَعُف . وقصّر وأبطأ . ومنه إنى لا آلوك نصحاً .

(٢) ولايتى .

(٣) ملاينة .

الوزيرُ هو للحقِّ وأهله ، وقد أمر رسول الله ﷺ بالقتال على الحق ، وقاتل عليه ؛ فخذوا منى ما أعطيكم ، وأعطونى ما أسألكم .

إنى آخذكم بالحق غير معتدٍ به ، وأعطيكم الحقّ غير قاصرٍ عنه ، كتابُ الله ، وسُنّةُ نبيّه ﷺ بينى وبينكم .

لا يسألنّ أحدٌ غيرَ ذلك ، ولا يطمعنّ فيه عندى !

حسمه وحزمه فى مواجهة الفتنة :

وكان عمر – رضى الله عنه – حازما حاسما فى مواجهة نوازع النفس الإنسانية فيما يراه حقا ..

فقد بلغه إعتراض عمرو بن العاص على سعد ، فكتب إليه : « لئن لم تستقم لأُمِيرِك لأُوجِّهَنّ إليك رجلا يضَع سيفَه فى رأسك ، فيخرجُه من بين رجليك » . فقال عمرو : هددنى بعلّى – والله .

متابعة القادة :

وكان عمر – رضى الله عنه – يتابع القادة ، ويقف على أخبارهم ، ويحاسبهم .

كتب – رضى الله عنه – إلى خالد بن الوليد :

إنه بلغنى أنك دخلت حماماً بالشام ، وأن من بها من الأعاجم أعدوا لك دَلُوكاً عُجن بخمر ، وإنى أظنكم – آل المغيرة – ذرء النار[1].

من ذلك الوالى الذى يطبق أمر الله فى عباده ؟! :

ويحدثنا عمر – رضى الله عنه – عن ذلك الذى يطبق أمر الله فى عباده فيقول :

لا يطَبّق أمرَ الله فى عباده إلا رجلٌ لا يصانع[2]، ولا يضارع[3]، ولا يتّبع

---

(١) ذرء : خلق . وذرء النار : مخلوقين لها .

(٢) لا يصانع : لا يدارى . أصله أن يقول : اصنع لى شيئا أصنَعُ لك شيئا آخر . ويقول زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

والمصانعة المداراة ، ويقول الشاعر :

فدارهم ما دمت فى دارهم ... وأرضهم ما دمت فى أرضهم

وهى ما يسمى حديثا النفاق الإجتماعى .

(٣) يضارع : يشبه فعله الرياء .

المطامع .

ولا يطبق أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كله ، ولا يحنَق فى الحق على جِرّته[1].

ماذا كان يكره من اللباس ؟ :

وكان عمر – رضى الله عنه – يكره لِبْستين : إنه يقول : أكره لبستين :

١ – لِبْسَةً مشهورة ٢ – ولِبْسَةً محقورة .

الولاية فى قريش :

وكان لعمر رأيه فى الولاية .. إنه يقول :

تضيق أنصارُنا ، وتقسو ثقيفُنا ، ومن وَلِىَ من العرب قَرَا فى حوضه[2]، وملأ وعاءه !

ولم أرَ لهذا الأمر مثل رجل من قريش أكلَ على ناجذه[3].

عمر ومعاوية :

وكان لعمر – رضى الله عنه – رأى فى معاوية فكان إذا رآه قال :

هذا كسرى العرب .

قال الراوى : لقد كانت المدينة فى أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القُضاةُ والعمالُ والقواد والأمراء ، فلا يبعث إلى الأمصارِ إلا من اختبره فى الجملة ، وقلّما أخطأت فِراسته فى الناس ، وهو المثل الأمثل فى جِدّه .

● كان كعب بن سور جالسا عند عمر فجاءته امرأة تشتكى زوجها ، فقال لكعب : إقض بينهما ، فلما قضى بما أعجبه ، وما لم يخطر له ببال ، قال لكعب : اذهب قاضياً على البصرة .

● وساوم عمر بفرس فركبه ليشوره[4] فعطِب ، فقال للرجل : خذ فرسَك ،

---

(١) حنق يحنَق حنقا : اشتد غيظه . والجِرّة : الجماعة من الناس يقيمون ويظعنون . وما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ، ثم يبلعه . ويقال : هو لا يكظم على جِرّته : لا يكتم سره .

(٢) قرا فى حوضه : جمع الماء فيه . والمراد استحوذ على الخير لأهله وقبيلته ، والجملة بعدها مفسرة لها .

(٣) الناجذ : الضرس ، وأكل على ناجذه : كناية عن رعايته لقومه وحدبه عليهم .

(٤) ليختبره ، ويجر به لينظر مدى صلاحيته .

فقال الرجل : لا .

قال : اجعل بينى وبينك حكَماً .

قال الرجل : شُريح .

فتحاكما إليه ، فقال شُريح : يا أميَر المؤمنين ، خذ ما ابتَعتَ ، أو رُدّ كما أخذتَ ، فقال عمر : وهل القضاءُ إلا هكذا ؛ سر إلى الكوفة ، فبعثه قاضيا عليها !!

قالوا : وإنه لأول يوم عرفه فيه ، وبقى شريح قاضيا هناك ستين سنة .

● وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : إنه لم يَزَل للناس وجوهٌ يرفعون حوائجَ الناس ، فأَكْرِم وجوهَ الناس ، فبِحسْبِ المسلم الضعيفِ من العدلِ أن يُنْصَف فى الحكم ولاقسمة .

يعنى أن عمَر أوصى بالأعيان ، وإن كان يكره الشفاعة والوساطة ، فقد توسط مولى عمر بأن يكتب كتابا إلى عامله فى العراق ليكرم أحد من قصدوا إليه ، فانتهَره عمر وسبّه وقال : أتريد أن يُظلمَ الناسُ ؟! ، وهل هو إلا رجل يسعه ما يسعهم[1]؟!

● ولقد قالوا : « إذا[2] اختلف الناس فى أمر فانظر كيف قضى عمر ؛ فإنه لم يكن يَقْضى فى أمر لم يُقضَ فيه قبله حتى يُشاوِر .

● وكان أبداً يأخذ آراء أصحابه لا يقطع أمراً عظيما من دون إستشارتهم ، ويقول :

الرأى الفرد كالخيط السحيل ، ولارأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مِرارٌ لا يكاد ينتقض[3].

هذا ولو وضع علم عمر فى كِفّة – كما قال ابن مسعود – ووضع علم أحياء العرب فى كِفّة لرجح بهم علم عمر .

● وأُنْشِد عمر ذات يوم شعر زهير بن أبى سُلمى ، فلمّا بلغ قوله :

---

(١) الأشراف لابن أبى الدنيا .

(٢) طبقات ابن سعد .

(٣) السحيل حبل على قوة واحدة ، وأقوى منه المبرم الذى جعل بين حبلين مفتولين ثم فتل الثلاثة حبلا واحداً ، والمِرار بكسر الميم : الحبل .

فـإن الحقّ مقطعـة ثـلاث يَمين ، أو نِفَار[1]، أو جِـلاء

جعل يتعجب من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ويقول :

لا يخرج الحق من إحدى ثلاث :

إما يمين ، أو محاكمة ، أو حجة .

مجمل من إدارة عمر :

وقد كان شديدا فى إقامة الحدود يُقيمها على أقرب الناس إليه .

● حدّ فى الخمر ابنه !

● وعاقب ابن عمرو بن العاص عامل مصر ، لأن أحد قبطِها استعْداه عليه .

قال السائب بن يزيد :

كنا نُؤْتَى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ وإمارة أبى بكر ، وصدر من خلافة عمر ، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا ، وأرجلنا ، وأرديتنا ، حتى كان آخر إمرة عمر ، فجلد أربعين ، حتى إذا عَتْوا وفَسقوا جُلدوا ثمانين .

● أراد أن يحد جبلة بن الأيهم من ملوك غسان لأن رجلا فزاريا[2] فى الحج وطىء على إزاره فلطمه جبلة فهشم أنفه ، وشكاه الفزارى فأراد عمر جبلة على أن يقتدى نفسه ، أو يأمر الرجل بلطمه ، فقال جبلة :

كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة ؟

فقال : إن الإسلام جمعكما ، وسوى بين الملك والسوقة فى الحد ففر جبلة والتحق ببلاد الروم !

وكان ابن الخطاب يفحص أمورا لا تخطر ببال أحد :

● كتب إلى أبى موسى الأشعرى : « إنى قد بعثت إليك مع غاضرة بن سمرة العنبرى بصحف ، فإذا أتاك لكذا ، وكذا فأعطه مائتى درهم ، وإن جاءك بعد ذلك فلا تعطه شيئا ، وأكتب إلىّ فى أىّ يوم قدم عليك » .

---

(١) النّفار : التخاصم والحكم بين الخصوم بعد تبين الحجج . والجِلاء : الوضوح والانكشاف بحيث يظهر الحق واضحا جليا فيقضى به لصاحبه دون يمين أو خصام .

(٢) تاريخ أبى الفدا .

يريد بذلك أن يعلّم من يستعملهم الجد والإهتمام ، والحرص على الأوقات وضبط المواعيد ، هو يعطى من أرسله بالصحف مائتى درهم إذا جد فوصل إلى البلد الذى عين له فى الأجل المضروب ، وإلا فيحرم أجرته .

● وكتب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات :

إنه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب ، فطلقها ، فكتب إليه :

لا أفعل حتى تخبرنى : أحلال أم حرام ؟ ، وما أردت بذلك ؟!

فكتب إليه : بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خلَابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم .

فقال : الآن نطلقها !

هذا مع أن عمر كان يقول : ليس قوم أكيس من أولاد السرارى ، لأنهم يجمعون عز العرب ، ودهاء العجم .

● وكتب إلى أبى موسى الأشعرى أيضا[1]: إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا ، واعزله عن عمله .

وذلك أن كاتب أبى موسى كتب إلى عمر : « من أبو موسى » وكان عليه أن يقول : من أبى موسى .

● ودبر عام الرمادة (١٧ – ١٨) تدبيرا إداريا ناجعا عندما رأى الناس يهلكون من المجاعة ، فكتب إلى أمراء مصر والشام والعراق أن يوافوه بالميرة[2]، فأتته القوافل تحمل طعاما كثيرا وغيره ، فوسع على الناس ، وكان قد قطع الطعام عن نفسه ، وأطعم الجياع ، ولولا تدابيره لهلك أهل الحجاز جميعهم .

● ومن جملة تدابيره الإدارية أنه[3] « حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج من البلدان إلا بإذن وأجل ، فشكوه ، فبلغه ، فقام فقال : ألا إنى قد سننت الإسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا ، ثم سنِيّا ، ثم رباعياً ، ثم سَديساً ، ثم بازلاً ،

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى .

(٢) الميرة : الطعام . وفى الكتاب العزيز : ٥ نمير أهلنا ٥ سورة يوسف .

(٣) تاريخ الطبرى .

ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان ؟!

ألا فإن الإسلام قد بزل .

ألا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده ، ألا فأما وابن الخطاب حيّ فلا ، إني قائم دون شِعْب الحَرّةَ آخذ بحلا قيم قريش ، وحُجَزِها أن يتهافتوا في النار » .

عمر في محراب العدالة ! :

قال الراوى : إن المساواة بين المتخاصمين في حد ذاتها حق وعدل ، وإن الحق فوق الجميع ، وإن العدل أعلى وأكبر من كل عظيم وكبير ، فما أنبل عمر في صرامته ، وما أعظم نزاهته وعظمته في حرصه على تحصين محراب العدالة المقدس !

ها هو ذا عمر – رضى الله عنه – يقول في أول خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ﷺ : « أيها الناسُ ، إنه – والله – ما فيكُم أحدٌ أقوى عِندِى من الضعيف حتى آخذَ الحقَّ له ، ولا أضعفُ عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » ثم نزل .

وكتب إلى أبى موسى الأشعرى – وهى رسالته المشهورة في القضاء – :

سلامٌ عليك ، أما بعد ؛ فإن القضاء فريضة مُحْكمة ، وسُنّةٌ متّبعة ، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك[1]؛ فإنه لا ينفع تكلّم بحقٍّ لا نفاذَ له .

● آسِ بين الناسِ في وجهك وعدلِك ومجلسك ، حتى لا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك[2]، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك .

● البينةُ على من ادعى ، واليمين على من أنكر .

والصّلحُ جائز بين المسلمين إلا صُلْحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالا .

● لا يَمْنَعَنك قضاءٌ قضيتَه اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهُديتَ لرشدِك أن ترجَع إلى الحق ، فإن الحقَّ قديم ، ومراجعة الحق خيرٌ من التمادى في الباطل .

● الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ في صدرِك[3] مما ليس في كتابٍ ولا سنةٍ ، ثم

---

(١) يقال أدلى إليه بحجته : أحضرها ، واحتج بها ، أو ألبتها فوص لبها إلى دعواه .

(٢) ظلمك .

(٣) اختلط والتبس .

اعرف الأشباهَ والأمثالَ ؛ فَقِسِ الأمورَ عند ذلكَ بنظائرِها واعمِد إلى أقربِها إلى الله ، وأشبهِها بالحقِّ ، واجعل لمن ادّعى حقا غائباً أو بينَةً أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضرَ بينتَه ، وإلا استحلَلْت عليه القضية ، فإنه أنفىَ للشكِّ ، وأجْلى للعمى .

● **المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودًا فى حَدّ ، أو مُجرَّبًا عليه شهادة زور ، أو ظِنِّينًا فى ولاءٍ أو نسب ، فإن اللهَ تولَّى منكمُ السَّرائر ، ودرأ بالبينات والأيمان .**

● **وإياك والقَلَق والضّجَر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ؛ فإن الحقّ فى مواطن الحق يعظم الله به الأجرِ ، ويُحسن به الزّخر . فمن صحّت نيتُه ، وأقبل على نفسِه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَخَلّق للناس بما يعلم أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما بالك بثوابِ الله فى عاجل رزق وخزائن رحمته ؟! والسلام .**

قال الراوى :

● وكان عمر يأمر الناس بالتفقه فى الدين ، ويَجِدّ فى إرسال الفقهاء إلى الأمصار يفقهون المؤمنين ، ويعلمونهم دينهم ، وقد لا يرسلهم إلا بعد أخذ رأيهم .

● ولما أراد أن يرسل سعد بن عبيد ، وكان لا يسمى القارىء من الصحابة غيره قال له : هل لك فى الشام؛ فإن المسلمين نزفوا[1]، وإن العدو قد ذأروا عليهم . وذلك بعد طاعون عمواس .

● وكان يقول حين خرج معاذ بن جبل إلى الشام : لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها بالفقه ، ولقد كنت كلمت أبا بكر – رحمه الله – أن يُجلسه لحاجة الناس إليه ، فأبى عَلَىّ وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة ؛ فلا أجلسه !

● وفى كتب عمر إلى قُضاته وعماله ، كأبى موسى الأشعرى ، والقاضى شريح ، وأبى عبيدة ، ومعاوية وغيرهم قوانين فى الاشتراع والإدارة سنها للمسلمين لا تزال إلى يوم الناس هى المعول عليها .

● ولقد قرأنا رسالته فى القضاء إلى أبى موسى الأشعرى ، فوجدنا أنه جمع فيها « جمل الأحكام ، واختصرها بأجود الكلام وجعل الناسُ بعده يتخذونها إمامًا ، ولا

---

(١) نزفوا : ماتوا ، وفنوا ، وذأر عليهم : اجترأ ، ومن التعبيرات الحديثة : معركة الإستنزاف .

يجد محق عنها مَعْدِلا ، ولا ظالم عن حدودها محيصا »[1].

● إن هذه الرسالة تظهر سماحة الشريعة الإسلاميّة ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان .

كما تظهر حب الخليفة العظيم لحرية الرأى ، واستقلال الفكر ، وصيانة القضاء ، وتشجيع القضاة على الإجتهاد .

● إن بعض ما سنه عمر من الأحكام ، أو أشار إليه ، أو تركه لإجتهاد القاضى سبق به أرقى النواميس القضائية المعروفة فى العالم كله فى عصرنا الحاضر ، وإن شئت فقل : بل وفى العصور المقبلة أيضا .

ألم يقل لأبى موسى : « افهم إذا أُدْلِى إليك » .

وفى التشريعات الحديثة :

« للأخصام الحرية فى المدافعة عن حقوقهم » .

أى أن القاضى ملزم بسماع كل ما يقوله طرفا الخصومة – المادة ٢٢ من لائحة ترتيب المحاكم الوطنية – فقرة ثانية .

ألم يقل : « إنه لا ينفع تكلم بحق لإنفاذَ له ».

وتأتى التشريعات الحديثة لتقول :

« تنفذ الأحكام النهائية جَبرا على المحكوم عليه فى الأحكام المدنية ؛ بالحجز بالقوة ، أو بالقبض والسجن فى الأحكام الجنائية » .

ألم يقل : « آسِ بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » ؟! وفى التشريعات الحديثة نجد ما يقابل ذلك :

« المواطنون لدى القانون سواء ، وهم متساوون فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية ، وفيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة ، لا تمييز بينهم فى ذلك » من مواد الدستور المصرى .

ألم يقل : « البينة على من أدى ، واليمين على من أنكر » ؟ .

---

(١) الكامل للمبرد .

ونجد فى التشريعات الحديثة ما يقابل ذلك :

على الدائن إثبات دينه ، وعلى المدين إثبات براءته من الدين ، والإثبات يكون بالبينة ، والقرائن ، والكتابة على حسب كل حالة .

ألم يقل : « الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراما أو حرّم حلالا » ؟

وجاء فى التشريعات الحديثة : « لا يجوز عمل الصلح فى الحقوق المالية »[1].

عود على بدء ! :

قال الراوى : يا سادة يا كرام ... عشتم مع عمر – رضى الله عنه – فى أول خطبة له حين ولى الخلافة ، وما كان عمر ممن أولع بإلقاء الخطب كثيرا ، على بلاغة فيه مستحكمة وعلم غزير ، ولا يرتقى المنبر إلا إذا قضت الضرورة ، وأراد بيان أمر ذهبت فيه نزوات النفوس مذهبا لا يرضاه .

وكثيرا ما قال :

إن هذا الأمر لا يصلح فيه إلا اللِّين فى غير ضعف ، والقوىّ فى غير عُنف .

وكذلك كان عمر يجمع بين اللين والشدة ، وهو إلى هذه – ولاسيَّما على عماله – أقرب .

طريقة عمر فى الإدارة :

وكانت طريقته فى الإدارة هى طريقة أبى بكر وصاحبه من قبل : إطلاق الحريات فى الشئون الموضعية ، وتقييده فى المسائل العامة ، ومراقبته فى خلوته وجلوته :

يقول المغيرة بن شعبة :

أفضل من أن يَخْدَع ، وأعقل من أن يُخدَع !

وجاء فى التاج المنسوب إلى الجاحظ :

● وكان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد ، وعلى وساد واحد ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا ناحيَة من النواحى عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق

---

(١) أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والإسلام .

والمغرب عنده فى كل مُمْسَى ومُصْبح ، ونحن نرى ذلك فى كتابه إلى عماله وعمالهم ، حتى كان العامل منهم لَيَتّهم أقرب الخلق إليه وأخصّهم به .

مهمة العمال :

وكان عمر – رضى الله عنه – إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم[1] فيقول :

إنى لم استعملكم على أمة محمد على أشعارهم ، ولا على أبشارهم[2]، وإنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل .

لا تجلدوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها[3] فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها .

جودوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن محمد ﷺ وأنا شريككم .

وكان يقص من عماله ، وإذا شكى إليه عامل جمع بينه وبين من شكاه ، فإن صح عليه أمر يجب أخذه به أخذه .

● وكان إذا بعث أمراء الجيوش يوصيهم بتقوى الله ، وألا يعتدوا ولا يجبنوا عند اللقاء ، ولا يمثلوا عن القدرة ، ولا يسرفوا عند الظهور ، ولا يقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وأن يتوقوا قتلهم إذا إلتقى الزحفان ، وشنت الغارات ، وألا يغلوا عند الغنائم ، وينزهوا الجهاد عن عَرَض الدنيا .

وهكذا يتضح لنا موقف عمر من عماله .. لقد كانوا عُرضةً لكشف أحوالهم مهما بلغ من منزلتهم !

● وكان إذا شكا إليه عامل أرسل محمد بن مسلمة يكشف الحال ، وله عدة طرق فى كشف سيرة عماله[4]:

منها أن يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فإذا إجتمعوا قال :

أيها الناس ، إنى لم أبعث عمالى عليكم ليصيبوا من أبشاركم ، ولا من أموالكم .

---

(١) تاريخ الطبرى .

(٢) الأشعار جمع شعر ، والأبشار جمع بشرة ، وهى ظاهر جلد الإنسان .

(٣) لا تؤخروها فى دار الحرب .

(٤) أسد الغابة لابن الأثير .

إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعِل به غير ذلك فليقم ، فما قام إلا رجل واحد ، فقال : إن عاملك فلانا ضربنى مائة سوط !

قال : فيم ضربته ؟

قم ، فاقتص منه !

فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكون سنة يأخذ بها من بعدك !

فقال : كيف لا أقيد . وقد رأيت رسول الله ﷺ يُقيد من نفسه[1]؟!

قال : قد عفا ، فلْنرضِه .

قال : دونكم فأرضوه ، فافتدى منه بمائتى دينار كل سوط بدينارين .

وقال : من ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له علىّ إلا أن يرفعها إلىّ حتى أقصّه منه .

فقيل له : أرأيت إن أدّب أمير رجلا من رعيته ، أتقصه منه ؟!

فقال : وما لى لا أقصَه منه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟!

نهج عمر لمن يخلفه :

ونهجَ عمرُ لمن يخلفه النهج الذى يجب السير عليه فى تدبير الملك .

- فأوصى الخليفة بعده أن يقر عماله سنة فيما قبل .
- وأوصاه بتقوى[2] الله لا شريك له ، وبالمهاجرين الأولين خيرا ، وأن يعرف لهم سابقتهم ، وأوصاه بالأنصار خيرا يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم .
- وأوصاه بأهل الأمصار خيرا فإنهم رِدْء العدو ، وحياة الفيء ، وأن لا يحمل فيئهم إلا عن فضل منهم .
- وأوصاه بأهل البادية خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن يأخذ من حواشى أموال أغنيائهم فيرده على فقرائهم .

---

(١) أقادَ القاتلَ بالقتيل : قتله به .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ .

● وأوصاه بأهل الذمة خيرا ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا ، أو عن يد وهم صاغرون .

● وأوصاه بالعدل فى الرعية ، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ، وأن لا يؤثر غنيهم على فقيرهم ، وأن يشتد فى أمر الله وحدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم . ثم لا تأخذه فى أحد رأفة حتى ينتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله ، ويجعل الناس عنده سواء لا يبالى على من وجب الحق ، ثم لا تأخذه فى الله لومة لائم ،

● وأوصاه أن لا يرخص لنفسه ، ولا لغيره فى ظلم أهل الذمة ، ونشده الله أن يرحم جماعة المسلمين ، ويجل كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويوقر عالمهم ، وأن لا يضر بهم فيذلوا ، ولا يستأثر عليهم بالفيء فيغضبهم ، ولا يحرمهم عطاياهم عند محلها فيفقرهم ، ولا يجمرهم فى البعوث فيقطع نسلهم ، ولا يجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا يغلق بابه دونهم فيأكل قويُّهم ضعيفَهم !

رضى الله عن عمر علم الولاة فن الإدارة .. وعلّم الساسة كيف يسوسون الشعوب إلى شاطىء الأمن والأمان والحرية والسلام !